

المسألة الأخلاقية في الثقافات القديمة

فيصل سعد
باحث تونسي



قسم العلوم الإنسانية والفلسفة

المسألة الأخلاقية في الثقافات القديمة*

* تمثل هذه الدراسة الفصل الأول من كتاب "الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الفكر الإسلامي القديم"، تأليف: فيصل سعد، مؤسسة مؤمنون بلا حدود والمركز الثقافي العربي، بيروت، 2014، ص ص 42-65



الملخص:

هذا الفصل شأنه شأن الفصول الأولى في كلّ البحوث العلميّة، يتمثّل دوره في البحث في الخلفيات الفلسفيّة، التي تمثّل جزءاً من الأطر المرجعيّة لمبحث الأخلاق في المجال العربيّ قبل الإسلاميّ. وهي الخلفيات التي سيكون لها تأثير بالغ في المنظومة الإسلاميّة النظرية والعملية المؤسسة حول ما ستسميه هذه المنظومة نفسها بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وفي هذا السياق ينشغل الباحث ببحث هذه الخلفيات في النظرية الأخلاقية الموجودة في تلك الفترة، عبر محورين حصاريين مهيمين، هما المحور الغربيّ الذي تمثّله الفلسفة اليونانية في بداياتها التأسيسية للمشروع الفلسفيّ الإنسانيّ، والمحور الشرقيّ الذي تمثّله الثقافة الشرقية القديمة، والتي يحصرها الباحث في مجال الشرق القديم المكوّن من إقليم الشرق الأقصى (بلاد آسيا الشرقية: الصين والهند) وإقليم الشرق الأدنى (بعض بلاد المتوسط الشرقي: تركيا وبلاد الشام ومصر)، وإقليم الشرق الأوسط (بلاد غرب آسيا: إيران، شبه الجزيرة العربية والعراق).

وإجرائياً يوجّه الباحث اهتمامه في بحثه ذلك نحو مفهومي الخير والشرّ في دينك المحورين. فيكشف فيما يخصّ المحور الغربيّ، أي اليوناني، أنّ هذين المفهومين صيغا في سياق التأسيس اليونانيّ للفلسفة، بوصفها بحثاً في الوجود الإنسانيّ، يتخذ فيه البحث الأخلاقيّ مكاناً مركزياً. وفي إطار هذا البحث كان تنظير فلاسفة اليونان الأوائل بداية بمعلمهم سقراط، وتلامذته، لا سيّما أفلاطون وأرسطو، لمفهومي الخير والشرّ، وصولاً إلى أهمّ المدارس الفلسفية اليونانية، كالأبيقورية.

وما تكشفه دراسة هذا التنظير من قبل الباحث، هو أنّ اليونانيين ربطوا مفهوم الخير والشرّ، بالهدف الذي تصوّروه من الوجود الإنسانيّ وهو السعادة، فكّل ما يسهم في تحقيقها خير، ونقيضه شرّ عندهم. ولهذا كانت اللذة صنوّاً للخير عند الأبيقوريين لأنّها ما يجلب السعادة، في حين كان مصدرها الفضيلة في سائر مذاهب الفلسفة اليونانية الأخرى.

ولكنّ مفهوم الخير والشرّ بقي بصفة عامّة ذا مدلول عمليّ، لا يكتشفه العقل من عمل مجرد على ذاته، إنّما من تفاعل للعقل مع الواقع الذي يعايشه.

أمّا في المحور الشرقيّ الذي كان متأثراً بقوة بفلسفة الغرب، عبر وساطة الرواقية، والأبيقورية، والأفلاطونية، فقد تجسّدت نظرية الخير والشرّ في تلاحح ثلاثة روافد ثقافية هي الرافد اليونانيّ، والرافد

الفارسي، والرافد الصيني. وهذه الروافد الثلاثة تبلورت من خلالها نظرية أخلاقية خصّصت لموضوعي الخير والشرّ مكاناً مركزياً لهما. وإجمالاً يمكن القول إنّ هذه الروافد الثلاثة تشترك في ربط تصوّر الخير والشرّ بتصوّر مثالي للعالم، ثنويّ يفصل بين عالم روحانيّ وعالم المادّة. وعلى أساس هذا الفصل ينظر إلى الخير والشرّ بوصفهما موضوعي صراع يجب أن يقود حياة الإنسان ليحقّق انتصار الخير على الشرّ. وفي جميع هذه الروافد يدرج هذا التصوّر للحياة في تصوّر للكون يجد فيه الله موضعه على قمّته بمختلف التصوّرات لهذا الإله بين الأفلاطونية المحدثة أو الغنوصية الفارسية وفروعها الزرادشتية، والديسانية، والمزدكية، والفلسفة الصينية بفروعها في التاوية والكنفوشية. ويمثّل الخير في جميعها هدف صيرورة تطهّر موجهة للفعل الإنسانيّ.

وإجمالاً فإنّ ما يتوصّل إليه الباحث من خصائص هذين المحورين الغربيّ والشرقيّ، اللذين مثلاً الرافدين الأهمّ للمنظومة الأخلاقية في المجال العربيّ قبل الإسلاميّ، فهو عنايتهما بمسألتي الخير والشرّ في سياق اهتمامهما بالمسألة الأخلاقية، عناية عملية سطّرت شروط الحياة الأخلاقية للإنسان. وهي الشروط التي ستوجد آثارها في المجال العربيّ ما قبل الإسلاميّ في القرن الخامس الميلاديّ، القرن الممهّد لظهور الإسلام.

نعرض للمسألة الأخلاقية في الثقافات القديمة أولاً لاعتقادنا أنّ لها تأثيراً في تشكّل فلسفة الأخلاق الإسلامية (L'ETHIQUE ISLAMIQUE) لاحقاً، فضلاً عن تأثيرها قبل ذلك في الأعراف العربية قبل الإسلام. وثانياً لاعتقادنا أنّه لا سبيل إلى فهم قضايا الفكر الإسلامي دون تبين خلفيته الفلسفية، ذلك أنّ "الأخلاقية الإسلامية كانت تبدو في أوجها (ق 5هـ) مزيجاً رائعاً ومجموعة متميّزة من الأعراف العربية الجاهلية ومن التعاليم القرآنية تضاف إليها عناصر غير عربية ذات أصول فارسيّة ويونانيّة خاصّة أدمجت في بنية إسلاميّة عامّة"⁽¹⁾.

هذا الأمر يدعونا إلى ألا نغفل في دراسة أخلاق مجموعة بشرية عن تجديدها في محيطها التاريخي متوسّلين في الآن نفسه بعض خصائص المنهج التاريخي التي منها "أنّ الأمور الحاضرة ناشئة عن التطور التاريخي، وأنّ اللغة والحقّ والأخلاق ناشئة عن إبداع جماعي لا شعوري ولا إرادي، وأنك لا تستطيع أن تبدل نتائجها بالقصد ولا أن تفهمها على حقيقتها إلا بدراسة تاريخها"⁽²⁾. وهو ما حفّزنا إلى اعتبار الأخلاق العربية غير منقطعة عن مؤثرات الحضارات السابقة لها غربيّة كانت أو شرقيّة اعتباراً أنّ هذه الأخلاق من الكليات التي تشترك فيها سائر الثقافات تأثيراً وتأثراً. ويتنزل مبحث "الخير والشر" ضمن فلسفة الأخلاق⁽³⁾ عامّة وميتافيزيقا الأخلاق كما تسمّيه الفلسفة المعاصرة. ولم تخل فلسفة غربيّة أو شرقيّة قديمة من العناية بهذا المبحث فهو لذلك غرض أصيل في ثقافات العالم القديم وإليه ترتدّ مباحث كثيرة أو عنه تصدر كالفصيلة والعدالة والسعادة واللذة". لقد شبّه "ديوجين لايرش" (DIOGENE LAËRCE) (410 - 323 ق م) الفلسفة بحيوان عظامه المنطق ولحمه الأخلاق ونفسه الطبيعيات، أو بيضة قشرتها المنطق وبياضها الأخلاق، وما يوجد في المركز هو الطبيعيات، أو بحقل خصب سياجه المنطق وثماره الأخلاق وأرضه وأشجاره الطبيعيات⁽⁴⁾.

¹ - R. WASLER, AKHLAK, IN EI², I, PP335-339. يقول المؤلف في الفصل نفسه: "لم تأخذ الأخلاق الإسلاميّة هيئتها إلا تدريجياً، ولم يترسّخ ناموس العناصر المختلفة التي تتألف منها نهائياً قبل القرن 5 هـ / 11م".

² - جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج 1، ص 229

³ - الأخلاق: "فرع من الفلسفة يبحث في المقاييس التي تميّز بها بين الخير والشر في سلوك الإنسان. وللأسف في ذلك مذهبان رئيسيان: أحدهما يجعل الخير أمراً مطلقاً ولا يتغير بتغير الزمان والمكان، والآخر يراه أمراً نسبياً يختلف باختلاف الظروف القائمة. ويرى أنصار الاتجاه الأول أنّ خيريّة الفعل كأنه في الفعل ذاته. فالواجب الخلقى مفروض بحكم العقل لا بدافع العواطف، بينما يرى أنصار الاتجاه الثاني أنّ خيرية الفعل مرهونة بغايته وتدرّك بالحدث أو العقل. فالخير هو ما يؤدي إلى السعادة أو إلى اللذة أو إلى المنفعة". الموسوعة العربية الميسرة، ج 1، ص 65

⁴ - غسان فنياس، الموسوعة الفلسفية العربية، الرواقية، ج II، ص 641



هذا الاهتمام التي حظي به موضوع الأخلاق جعله محلّ تنازع بين سائر الفلاسفات لأنّه مشكل موضوعه الإنسان بالدرجة الأولى في علاقته بأنماط السلوك الاجتماعي. ولن يعيننا درس هذا المبحث في تاريخيته ومراحل تطوّره من عصر قديم إلى عصر، أو من مصر إلى مصر بقدر ما يعيننا النظر إليه في شموليته موضوعاً في المعرفة القديمة يتداخل وجملة عناصر ثقافية وميتافيزيقية تساعد على فهمه في إطاره من "الكلي" المعرفي اليوناني. وبما أنّ صلة "الخير والشر" وثيقة بمبحث الأخلاق، فإنّ غايتنا هي تعرّف الأسس الفلسفية التي قام عليها هذان الموضوعان الأخلاقيان سعياً إلى استجلاء العناصر الفكرية التي أثمرت في المجال الثقافي العربي قبل الإسلام وحتى بعده نتائج على صلة بموضوع الأخلاق العربية. وسننظر في تشكل هذا المبحث في الثقافة اليونانية القديمة عامة، وفي مبحث "الخير والشر" موضوعاً فيها.

1) مبحث الأخلاق في الثقافة الغربية القديمة

يقول أنجلو شيكوني (ANGLO SHIKONY) "إنّ فلاسفة الإغريق الأوائل الذين اهتموا بقضية العالم أثروا اهتمامهم بصورة أولية حول تفهم الكون وكيفية تركيبه، ولكن مع مطلع القرن الخامس قبل الميلاد راح الفلاسفة يعمّقون أبحاثهم في العالم الحسيّ وخاصة في عالم الإنسان، في طبيعته وتركيبه، في علاقته مع العالم الخارجي ومع ذاته ومع الله. ومن هنا أخذت قضية الأخلاق طريقها إلى عالم الفلسفة"⁽⁵⁾.

إنّ الإشارة إلى القرن الخامس قبل الميلاد لإشارة دالّة في تاريخ الأفكار في العهد الإغريقي القديم لأنها تؤرّخ لعصر هام من عصور الفلسفة اليونانية هو العصر الهليني⁽⁶⁾ حيث أثّرت قضية الأخلاق بصفة جدية. ولم تكن قبل هذا التاريخ حاضرة كلياً في أفكار المعلم الأول سقراط (470 – 399 ق م) فقد جعل محور الفلسفة معرفة الإنسان نفسه، ودرس تصرفاته والنواميس التي تدفع إليها، فأسس بذلك علم الأخلاق. "ولقد كان أتمن تراث سقراط الفلسفي تلك القاعدة الأخلاقية القائلة: "أيّها الإنسان! اعرف نفسك بنفسك"، أي انهم بذاتك، إنّه "الأمر الأساسي الذي يدور حوله مبحث الحرية المعبر عن الانهماك بالذات انهماكاً إيتيفياً، وهو ما يعني أنّ مهمّة الإيتيقا تتمثّل في إيجاد تناغم بين مطالب الحياة الفردية وإلزامات القواعد والأعراف الاجتماعية بحثاً عن حياة فاضلة بالمعنى الذي تكون فيه الفضيلة هي تمام كينونة الكائن، وهي تمام الفعل الجميل أو المحمود الذي

⁵- أفلاطون والفضيلة، ترجمة منير سغبيني، بيروت 1986، ص 15

⁶- العصر الهليني: نسبة إلى الهلينية. ومعناه على طراز اليونان وطريقتهم. وتطلق على طابع الفكر والحضارة القديمين في العصر الذي بدأ من موت الاسكندر المقدوني (223 ق م) وينتهي بغزو روما لمصر في عهد الإمبراطور أغسطس (ق 30 م). ويمتاز هذا العصر بامتزاج الفكر اليوناني بالروح الشرقية. وقد نشأت عن هذه الثقافة المدارس الفلسفية التالية: الرواقية والأبيقورية ومدارس الشكاك تلتها الاتجاهات التوفيقية الانتقائية والاتجاهات الدينية العرفانية والرواقية المتأخرة والفيثاغورية الجديدة والأبيقورية المتأخرة والفلسفة الهلينية اليهودية يلي ذلك الأفلاطونية المحدثة والعرفانية الشرقية. انظر في تفصيل هذا المصطلح

PAUL PETIT, IN *ENCYCLOPÉDIE UNIVERSALIS*, IX, PP 175-180.

به تمام الإنسان متى كان ذلك الفعل صادراً عن الاختيار وحسن الروية⁽⁷⁾. وقد دفع هذا الأمر بسقراط إلى محاربة السفسطائيين، وانتقاد الحكم في مدينته. ويعزو بعضهم اهتمام فلسفة العصر الهليني - وأهم أعلامها أفلاطون وأرسطو فالرواقيون والأبيقوريون- إلى "انتصارات الإسكندر المقدوني التي أحدثت ثورة عميقة في حياة اليونانيين وبالتالي في تراثهم العلمي والثقافي، ذلك أنّ شعوب البلاد التي غزاها الإسكندر أخذت تعترف من مناهل الثقافة اليونانية وتشارك مشاركة فعّالة في جميع جوانب الحضارة الإغريقية (...). وبعد أن فقدت اليونان نفسها استقلالها السياسي أصبح الأجانب هم الذين يصرفون شؤونها السياسية، الأمر الذي أودى برخاء البلاد وبمعتقداتها القديمة وأدى إلى انتكاس القيم الأخلاقية الأصيلة تحت ضغط الاتجاه السائد إلى طلب اللذة والاستمتاع بالحياة (...). لقد ساد هذا الاتجاه في هذه الفترة وتميزت الفلسفة الهيلينستية حينذاك باتجاه ملحوظ إلى البحث في الأخلاقيات"⁽⁸⁾.

أ) السعادة منطلقاً للخير

لا نغالي كثيراً إذا اعتبرنا الفكر اليوناني قد جعل وكده وغايته تحقيق سعادة الإنسان. ولذلك فإنّ كلّ شيء يؤدي إلى هذه السعادة كالخير والحقّ والفضيلة والعدل إنّما هو الخير المحض، وأنّ كلّ ما يحول دون هذه الغاية فهو الشرّ المحض.

فالسعادة أسّ للخير وقضية أصيلة في الفلسفة اليونانية منذ بواكيرها. يقول ر. سيمتير (R. SIMETERRE) "كانت كل المعاني الأخلاقية تعرف بكلمة السعادة. فالسعادة هي الخير، وكل المعاني الأخلاقية تعرف وتصدر عن هذا الخير"⁽⁹⁾. وعلى أساس من هذا التصور فإنّ ما يوافق بقاء الإنسان حسب الرواقية⁽¹⁰⁾ سيكون هو النافع له، أمّا ما يعارض بقاءه فهو الضارّ له، أي أنّه هو الذي يؤدي إلى سعادته. وإنّ "كل موجود يستمدّ قيمته من عمله على حفظ بقائه وسعادته"⁽¹¹⁾.

⁷- عبد العزيز العيادي، إيتيقا الموت والسعادة، دار صامد للنشر والتوزيع، تونس 2005، ص 31

⁸- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، الإسكندرية 1988، ج2، ص 269

⁹- أ. شيكوني، أفلاطون والفضيلة، ص 16

¹⁰- الرواقية: (ق 4 ق م) مذهب مجموعة من الفلاسفة أهمهم "زينون" مؤسس المذهب وكليانث وكريزيب وسنكا وأبكتاتوس ومرقص وأورليوس وغيرهم من فلاسفة اليونان والرومان، سموا بالرواقيين لأنّ زينون كان يعلم تلاميذه في رواق. والرواقية ترى أنّ السعادة في الفضيلة وأنّ على الإنسان أن يجعل سلوكه مطابقاً لما تملّيه عليه الطبيعة، جميل صليبا، المعجم الفلسفي، ج1، ص 622

¹¹- محمد علي أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ج2، ص 288 - 289

وقد دعت الأبيقورية⁽¹²⁾ كذلك إلى خلاص الإنسان من المخاوف والشرور التي كانت تستبدّ به، ذلك أنّ وظيفة الأخلاق عندها هي القضاء على تلك المخاوف الخيالية التي تحول دون تحقيق سعادته.

وترجع السعادة إلى اللذة، إذ اللذة هي الخير الأعظم ثم هي ليست اللذة القصيرة القوية بل اللذة الدائمة طول العمر، "ومن ثمّ يجب استبعاد اللذات الحسية الموقوتة التي قد تنقضّ دون أن تحقّق سعادتنا"⁽¹³⁾.

وليس تصور الأبيقورية للأخلاق تصوراً ميتافيزيقياً وذهنياً خالصاً، وإنّما المتنبّع لتاريخ هذه الفلسفة وانتشارها يلحظ أنّها "كانت رد فعل على واقع اجتماعي وحضاري إثر الأزمات التي عصفت ببلاد اليونان وأفضت إلى سيطرة المقدونيين على مقاليد الحكم، فقدت إثرها المدن اليونانية استقلالها وسيادتها، وعمت الفوضى والقلق، فغدا الإنسان يخشى شرّ الإنسان وشعر الإغريق بأنّ الحضارة التي آلت بهم إلى ذلك المصير لا بدّ من إعادة النظر في قيمها بما يضمن إعادة الثقة والطمأنينة والسعادة إلى الإنسان"⁽¹⁴⁾.

أما في مستوى المقارنة بين الأخلاق القديمة ونظيرتها الحديثة فإنّ "الأخلاق اليونانية مهما تعدّدت الصور التي عرضت على أساسها تمتاز بأنّها أخلاق سعادة لا أخلاق واجب، على عكس ما عليه الأخلاق المحدثه"⁽¹⁵⁾ فالأخلاق اليونانية القديمة أخلاق مصلحة وغاية.

إنّ هذه الغائيّة النفعيّة تظهر بجلاء أكثر في إسهامات أرسطو خاصة في كتابه الهام الذي دون فيه جميع آرائه في الأخلاق والموسوم بـ: **علم الأخلاق إلى نيقوماخوس** (L'ETHIQUE À NICOMAQUE). وقد نزل هذا العلم منزلة قبلة العلوم في ارتباطه بشبكة المعاني والقيم الراجعة إليه. يقول: "كلّ الفنون وكلّ الأبحاث العقلية المرئبة وجميع أفعالنا وجميع مقاصدنا الأخلاقية يظهر أنّ غرضها شيء من الخير نرغب في بلوغه. وهذا ما يجعل تعريفهم للخير تاماً، إذ قالوا: إنّهُ موضوع جميع الآمال"⁽¹⁶⁾. ويتساءل أرسطو عن الغاية القصوى التي يبحث عنها علم الأخلاق أو بمعنى آخر الخير الأعظم الذي يتحقّق في العمل وتستهدفه الأفعال الإنسانية، فيجيب على ذلك بأنّ ثمة اتفاقاً بين الناس عامتهم وخاصتهم على السواء، على أنّ السعادة هي الخير

¹² - الأبيقورية: نسبة إلى مؤسسها الفيلسوف الإغريقي أبيقورس (EPICURUS) (341 - 270 ق م). وهي العقيدة الفلسفية الوحيدة التي قدر لها أن تنتشر في العالم القديم الإغريقي والروماني على حد سواء. وقد استحوذت على اهتمام عدد كبير من الناس لمدة تجاوزت سبعة عقود (40 ق م - 30 م). وازدهرت عند أقوام عدة من إغريق وغير إغريق في بلاد اليونان وآسيا الصغرى ومصر وسوريا وإيطاليا وشمال إفريقيا. ووصفت بأنّها أول فلسفة عالمية. وكانت إلى الحركة الدينية أقرب منها إلى المذهب الفلسفي. واشتهرت بكونها فلسفة اللذة، إذ دعت إلى الاستمتاع باللذات المعنوية، كريم متى، الموسوعة الفلسفية، ج II، ص 25

¹³ - أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ج 2، ص 269

¹⁴ - كريم متى، الموسوعة الفلسفية، ج 2، ص 26

¹⁵ - عبد الرحمان بدوي، أرسطو، بيروت، 1980، ص 255. وبواصل قائلاً: "إذا كانت هذه الأخلاق المحدثه تضع قواعد يجب على السلوك الإنساني أن يسير وفقها فتقول له: "افعل هذا لأنّه واجبك"، فإنّ الأخلاق اليونانية تقول له: "افعل هذا لأنّه يؤدي إلى سعادتك"."

¹⁶ - ترجمة أحمد لطفي السيد، القاهرة 1924، الكتاب الأول: نظرية الخير والسعادة، ج 1، ص 67

الأعظم. وقد كان هذا الرأي شائعاً عند اليونانيين على عهد أرسطو، إذ "كانوا يرون أنّ كلّ فعل يقوم به الفرد إنّما يستهدف من ورائه تحقيق السعادة لنفسه"⁽¹⁷⁾.

ب) اللذة والفضيلة طريقين إلى السعادة

ترتدّ ثنائية الخير والشر في الأخلاق الأبيقورية "إلى فكرة اللذة التي أساسها الخير في مقابل الألم الذي أساسه الشر بدليل أنّ الكائنات الحية العاقلة منها وغير العاقلة تسعى إلى اللذة وتبتعد عن الشر"⁽¹⁸⁾.

ولا يعزبُ عن الأخلاق اليونانية أنّ القيم الاجتماعية "كالحياء والشرف والثروة ليست خيراً في ذاتها، وكذلك الموت والمرض والفقر والإهانة ليست شروراً في ذاتها، وكذلك اللذة ليست خيراً في ذاتها، بل هي نتيجة لأفعالنا إذا كانت هذه الأفعال موافقة للطبيعة"⁽¹⁹⁾.

ولا شك في أنّ شيئاً من هذا كثيراً سيكون أساس الفلسفة الأخلاقية الإسلامية وموضوعاً للكلام بين الفرق الإسلامية لاحقاً (أفعال العباد، وقضايا القدر والجبر والكسب،... إلخ) مع اختلاف - بالطبع - في الأطر المعرفية لكلتا الفلسفتين.

وفي تقسيم أرسطو لأنواع الفضيلة يرى أنّ الفضائل الخلقية تحصل بالتعود، ولهذا فإنّها لا تنمو فينا بالطبع بل بالمران والممارسة والتقليد. ويتفق كلّ من أفلاطون وتلميذه أرسطو على أنّ وظيفة الدولة هي تعليم الفضيلة للصغار. ويخصّص التلميذ ثلاثة كتب من الأخلاق النيقوماخية للكلام في الفضائل الخلقية، فيشير إلى الشجاعة والعفة، وإلى فضائل تتعلّق بالثروة أو بالشرف أو بالغضب، أو إلى فضائل اجتماعية. ويختتم الكتاب الرابع بالحديث عن أشباه الفضائل مثل الحياء، في ما يخصّص الكتاب الخامس للحديث عن فضيلة العدالة، وهي فضيلة رئيسة يقوم نوع منها على مطابقة القانون الخُلقي فيكون "الرجل العدل بهذا المعنى هو الذي تتطابق أفعاله مع قوانين المجتمع وقواعده الأخلاقية"⁽²⁰⁾.

¹⁷- أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ص 212

¹⁸- الأبيقورية، الموسوعة الفلسفية، ج2، ص 31

¹⁹- أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ص 282

²⁰- أرسطو، علم الأخلاق، ج1، الكتاب الثاني، ص 224

ولما كانت جمهورية أفلاطون تضع أسس مدينة مثالية للمستقبل وتضع القوانين أسس دولة تليها في الأفضلية، فقد وجدنا عند تلميذه أرسطو "إطارَ دستورٍ مثالي ووصفاً للمؤسسات التي تحكم العديد من الدول اليونانية"⁽²¹⁾.

وقد أقرّ أفلاطون في خصوص اختيار الحكام أو الحرّاس في جمهوريته المثالية أنّه لا يجوز اختيارهم على أساس نسبهم أو ثروتهم، ولكن على أساس الخصال التي تؤهلهم للقيام بمهمّتهم "فلا بدّ من أن ينحدروا من سلالة طيبة وأن يتمتّعوا بصحة جيّدة وأن يكون لهم عقل راجح ويتلقّوا تربية حسنة"⁽²²⁾.

وها هو ذا سقراط يشرح لجلوكون (GLOUCON) الصفات الأساسية للمرأة الناضجة للإنجاب فيقول: "ألا تظنّ معي أنّ المدّة المعتادة لهذا النضج هي عشرون عاماً للمرأة وثلاثون للرجل، أعني أنّ للمرأة أن تنجب للدولة أطفالاً منذ سن العشرين حتى الأربعين. أما الرجل فبعد أن يجتاز أشد فترات العمر حماسة للسباق يظلّ ينجب للدولة أطفالاً حتى الخامسة والخمسين. ولا ينبغي أن يُسمَح للعلاقات بين الرجال والنساء أن تُخلّ بحياة المجتمع (...). إنّ الحبّ الصادق هو أن تحبّ بروح معتدلة ومتناغمة كلّ ما هو متّسق وجميل"⁽²³⁾.

يتّضح من خلال هذه التصورات الأخلاقية في مجالات كثيرة من الحياة اليونانية أنّ الصفات المطلوبة ليست مطلقة أو ذهنية محضاً، بل هي نسبية قيمية في احتكامها إلى معايير اجتماعية متحوّلة. وهي نواة للرؤية الأخلاقية للمجتمعات اللاحقة غربيها وشرقيها. ومن الأمثلة الساطعة على ذلك ما يتعلق بتعريف الفضيلة عند أرسطو بأنّها "ملكة اختيار الوسط العدل، لا الحسابي بين إفراط وتفريط، كلاهما رذيلة"⁽²⁴⁾، أي أنّها ترجع إلى الإرادة التي تلتزم الوسط الملائم لطبيعتنا. ويحرص أرسطو بعد ذلك على ربط درجة التوسط هذه بالخير الذي هو غايتها فيقول: "إذا كانت الفضيلة من حيث ماهيتها وسطاً بين رذيلتين، فإنّها من حيث الخير تعتبر حدّاً أقصى"⁽²⁵⁾ فمطلب الماهية عند فلاسفة اليونان لا يبطل الجدوى والأهمية. وفي الميدان الاقتصادي ينتقد أرسطو الربا في المبادلة، وهو عنده أبعض أنواع الكسب وأكثرها بعداً عما هو طبيعي، فهو أبشع الوسائل غير الطبيعية في تحصيل الثروة.

²¹- ماريا لويزي برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، عالم المعرفة، عدد 225، 1997، ص 29

²²- المرجع السابق، ص 33

²³- المرجع نفسه، ص ص 44 - 45

²⁴- أبو ريان، تاريخ الفكر الفلسفي، ص 221

²⁵- أرسطو، علم الأخلاق، الكتاب الثاني، نظرية الفضيلة، ص ص 225 - 228



أما في الطور الإسبرطي من حكم اليونان فإنّ الرواية التاريخية المأثورة تصف ليكورجوس بأنّه هو الذي وضع تشريع إسبرطة، وأنّه "لمّا كان قد عزم على أن يستأصل شرور الوقاحة والحسد والجشع والترف وكل المفاصد المتصلة في الدولة والمتحكّمة في مصيرها كالفقر والثراء، فقد أقنع الحكّام بإلغاء كل التقسيمات السابقة للأراضي ليضع تقسيماً جديداً يحقّق المساواة الكاملة بينهم في الملكيّة، وإذا كانوا يطمحون إلى التميّز فعليهم أن يلتمسوه في الفضيلة، إذ لم يبق من اختلاف بينهم إلّا ذلك الذي يجلبه عار الأفعال الدنيئة أو الثناء على الأفعال الخيرة"⁽²⁶⁾.

ويعزو الدارسون إهمال الرواقية المتأخرة في القرنين الأول والثاني الميلاديين للمنطق والطبيعيات مقابل اهتمامها بالأخلاق فقط "إلى تبلور الفلسفة الأخلاقية في الفكر الإنساني شيئاً فشيئاً"⁽²⁷⁾، وهو ما يعني أنّ قسماً كبيراً من آراء هذه المدرسة كان خاضعاً للسيرورة التاريخية وللتحولات السياسية والاجتماعية.

وعلى الرغم ممّا يبدو من تناقض ظاهر بين الأبيقورية والرواقية في التصور الأخلاقي، ذلك أنّ الأبيقورية تطوّرت حسيّة متعيّة، بينما تطورت الرواقية مادّية وعقلانية أخلاقية، فإنّ لهما رمزاً مشتركاً حرصتا على الوفاء له هو العيش بتوافق مع الطبيعة. وهذا الاختلاف في وجهات النظر ومناهج العمل يترجم عمّا يميّز به الفكر الفلسفي والسياسي اليوناني من الثراء والتنوع، وهو ما جعله من أهم المصادر التي ألهمت الفلاسفة طوال العصور اللاحقة.

ت) صلة علم الأخلاق بعلم السياسة

لقد تقرّر منذ سقراط وأفلاطون أنّ قضيّة الأخلاق السياسية لا يمكن أن تنبثق من الإدراك العقلاني فقط، وإنّما من خلال علاقات الإنسان الفرد بالمجتمع، ومن ثمّ علاقة الإنسان بالإنسان. ولذلك عدّت الأخلاق في تصوّر فلاسفة اليونان علماً عملياً. وهي جزء من العلم السياسي المندرج في التجربة والتاريخ. ثمّ إنّ الدولة أقدر على تحقيق الخير والأخلاق الفاضلة ما دامت الغاية واحدة عند الدولة والأفراد. يقول أرسطو: "شيء لا

²⁶- برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ص 65

وتواصل المؤلفة قائلة: "ورغبةً منه في القضاء الكامل على الرفاهية واستئصال حبّ الثروة شرّع ليكورجوس تنظيمًا ثالثًا كان على درجة كافية من الحكمة والطرافة، وذلك هو استخدام الموائد العامة حيث كان يفرض على الناس جميعاً أن يأكلوا أنواعاً معيّنة من اللحوم التي حدّدها القانون، كما مُنعوا في الوقت نفسه من تناول الطعام في بيوتهم على أرائك ومناضد غالبية الثمن، وحرم عليهم أن يستعينوا بالقصّابين والطهاة، أو أن يسمنوا كالحیوانات النهمّة بين جدران بيوتهم لأنّ ذلك كلّهُ لن يفسد أخلاقهم فحسب، وإنّما سيفسد أجسامهم أيضاً"، ص 68 – 69

²⁷- الموسوعة الفلسفية العربيّة، ص 639

ينبغي أن يعزب عن النظر وهو أنّ هذا المؤلّف الأخلاقي ليس نظرياً محضاً... فليس لأجل العلم بما هي الفضيلة أن أوغلنا في هذه الأبحاث بل أن نتعلم كيف نصير فضلاء وأخياراً⁽²⁸⁾.

وقد حدّد أرسطو مركز الأخلاق بين العلوم العملية وصلتها بالسياسة. فأكد أنّ الأخلاق لا تصدر عن الطبيعة بقدر ما ترجع إلى العرف والتقاليد الموروثة. ويفسّر هذا الكلام بأنّ المنهج في الأخلاق لا يقوم على الاستدلال البرهاني بقدر ما يستند إلى التجربة الواقعية. ومن مظاهر واقعيته أيضاً أنّه ينظر في أفعال الإنسان بما هو إنسان ويدبّر بها على هذا الأساس، فالإنسان مدنيّ بالطبع حسب هذه الأخلاق، ولا يبلغ كماله إلا في المدينة وبمعونتها. ولتدبير المدينة علم خاص هو العلم السياسي رأس العلوم العملية جميعاً، يستخدمها لغايتها وخيره، فيستخدم علم الأخلاق لتقرير ما يجب فعله وما يجب اجتنابه، أي لتنظيم الحياة بالقانون.

يقول أرسطو في ذلك: "توجد ثلاثة أشياء تُطلّب وتوجد أيضاً ثلاثة تُجتنب، فالمطلوبات هي الخير والنافع والملائم، والمجتنبتات أضدادها الثلاثة: الشرّ والضار وغير الملائم⁽²⁹⁾".

ث) صلة الفن بالأخلاق والفن بالسياسة

لقد أدرك أفلاطون إدراكاً واضحاً العلاقة بين الفن والأخلاق، ومن ثمّ بين الفن والسياسة لأنّ الأخلاق جزء من العلم السياسي، والفنّ جزء من العلم الأخلاقي. فقد بات من الضروري في جمهورية أفلاطون أن يتماشى الموسيقى والأدب والعمارة والتصوير مع معايير أخلاقية. ويتوقّف الفنّ عن كونه تعبيراً عن الشخصية الفردية لأنّ عليه أن يخدم مصالح الدولة فحسب، "والدولة هي التي تحدّد ما هو خير وما هو شرّ، وما هو جميل وقبيح (...)", ويجب أن يجبر الشعراء على أن يطبعوا على قصائدهم صورة الخير وحده، وأن يُمنعوا من قرص الشعر، وإلا يُطلب منهم مغادرة المدينة⁽³⁰⁾.

ج) الأخلاق غاية للدولة: الوسطية والعدالة

يقرّر أرسطو في كتاب السياسة من الأخلاق أنّه "ليست غاية الدولة رعاية القانون والنظام والدفاع عن حدود الوطن وحماية حياة المواطنين فحسب، بل إنّ لها وظيفة أسمى وأشمل هي تحقيق السعادة للمواطنين جميعاً في ظلّ حياة اجتماعية كاملة سليمة⁽³¹⁾".

²⁸- علم الأخلاق، الكتاب الثاني، الباب الثاني، ص 229

²⁹- المصدر نفسه، الكتاب الثاني، الباب الثالث، ص 235

³⁰- برنيري، المدينة الفاضلة عبر التاريخ، ص 59

³¹- الأخلاق، الكتاب الثاني، الباب التاسع، ص 235

وفي تقليب الأنظمة السياسية الصالحة للدولة يتساءل أرسطو عن النظام الصالح لغالبية الحكومات، فيرى من جملة الأنظمة الستة الممكنة أنّ هذا النظام هو مزيج من "الأوليقرشية" و"الديمقراطية" بحسب المبدأ المعتمد في الأخلاق، وهو "خير الأمور الوسط". ويقوم هذا النظام الخليط على اعتبار الطبقة الوسطى مركز الثقل في الحياة السياسية.

وإذا كان أرسطو قد جعل الدولة تقوم على الأخلاق التي غايتها تحقيق الخير كما فعل أفلاطون من قبله مع اختلاف بينهما في المنهج فإنّه "قد طالب الدولة فقط بأن تميّز بين العدل والظلم وبين الحق والباطل، وأن يكون من شأنها الحفاظ على القيم العليا ومنع القيم الدنيا من أن تظهر وتتغلب"⁽³²⁾.

وفي تقسيم العدالة (كذا) إلى أنواع: تمييزية وتعويضية وتوزيعية وإصلاحية يُعنى أرسطو عناية خاصة بالعدالة الإصلاحية، فيذكر أنّها من اختصاص السلطة القضائية التي تعوّض المظلوم من الظالم، وتُنزل العقاب بالمجرمين، وتحكم بالعدل بين المتعاقدين. ولا ينسى أن يذكر بأنّ هناك عدالة أسمى من عدالة القانون تسمى بالإنصاف الذي يصحّ العدالة القانونية"⁽³³⁾.

وفي خاتمة هذا الفصل نذكر بأنّ مفهومي الخير والشر قد تشكّلا في الثقافة الغربية اليونانية القديمة تشكّلاً أفقيّاً لارتباطه بمجالات عديدة يضمّها علم الأخلاق، فكان الخير والشر قيمتين عمليتين تُمثّلان غائية هذه الثقافة: الخير يؤدي إلى غايات أخرى كالسعادة والفضيلة واللذة المعنوية، بينما يؤدي ضديده الشر إلى الألم والرذيلة والقيح. وترتبط بكلّ قيمة من هذه القيم قيم أخرى ليست أقلّ منها أهميّة في المدارين السياسي والاجتماعي. ولم يكن مبحث الأخلاق عامّة و"الخير والشر" بالخصوص حبيس التصوّر النسوي التكويني الذي ينطلق من افتراض أنّ موضوع المعرفة (الأخلاق هنا) لا بدّ من أن تتحدّد هويته لحظة نشوئه وتكوّنه قبل أن يكون واقعاً قائماً، وإنّما كان إلى "العملية" والغائية النفعيّة أميل وفي "التاريخي" و"الثقافي" أدخل.

لقد دلّت معالجة الفلاسفة اليونانية لمبحث الأخلاق ممثلاً في الخير والشرّ على وجه من أوجه تحكّم النظر في العمل، وهو تحكّم تقاس فيه أخلاقية الفعل بمدى مطابقته للمثال الأخلاقي، ذلك أنّ السلوك في تصوّر هذه الفلسفة يظلّ خاضعاً للمعيار القيمي، إن في أبعاده الإيتيقية (مبحث الأخلاق العملية)، وإن في أبعاده الأنطولوجية (مبحث الوجود)، وسواء كان ذلك المعيار هو الخير والشر أو الفضيلة في التصوّر الأفلاطوني،

³²- عبد الرحمان بدوي، أرسطو، ص 265

³³- راجع الكتابين 4 و10 من الأخلاق لأرسطو.



أو القانون والمعقولة في التصور الأرسطي، أو المتعة واللذة عند الأبيقوريين، أو السعادة عند الرواقيين على الرغم من الفوارق في المنطلقات. ولقد أفضى هذا التناول، من جملة ما أفضى إليه، إلى رسم حدود الوسطية ما بين الفكر والعمل الأخلاقي، كما هو الحال في فلسفة أرسطو حيث يظهر أن المبدأ المركزي في هذه الأخلاقية يرمي إلى **التعقل والتدبر وحسن الروية**، وهو ما يعبر عنه في تطوير للأفلاطونية الأولى **بالوسطية بين الفكر والعمل الأخلاقي**.

لقد مثلت مبادئ هذه الفلسفة لبنات على أساسها يتم كنه جوهر الخير والشر في العالم وتبين مصادرهما من الوجهتين الميتافيزيقية والعملية. وذاك ما تولت الثقافة الشرقية عموماً فحصه ومحاولة إدراكه.

(2) مبحث الأخلاق في الثقافة الشرقية القديمة

يحسن بنا قبل الخوض في موضوع الأخلاق عامة و"الخير والشر" بالتخصيص في الثقافة الشرقية القديمة أن نحدد المقصود بهذه الثقافة، ذلك أن مسألة التحديد المكاني أمر ليس بالهين لأنه ينبغي التمييز بين الإطار الجغرافي لهذه الثقافة – وهو الشرق القديم المكون من إقليم الشرق الأقصى (بلاد آسيا الشرقية: الصين والهند) وإقليم الشرق الأدنى (بعض بلاد المتوسط الشرقي: تركيا وبلاد الشام ومصر)، وإقليم الشرق الأوسط (بلاد غرب آسيا: إيران، شبه الجزيرة العربية والعراق) - وقد نبعت منها الثقافة الشرقية في أصولها من جهة – والدول التي تأثرت بثقافة الشرق دون أن تكون هذه الثقافة أصيلة فيها أو نابعة منها من جهة أخرى وهذا الأمر جرى على الحضارة الهندية. "فهذه الحضارة التي يطول ذكرها في الكتب العربية على أنها مورد من الموارد التي اشتقت منها الحضارة الإسلامية ليست حضارة أصيلة أي أنها في أصولها البعيدة لم تنشأ على ضفاف أنهار الهند الشمالية، بل قامت على أساس من الحضارة السومرية نقلت إلى هناك ونمت في البيئة الهندية ثم تأسلت وأزهرت مرة بعد مرة"⁽³⁴⁾. على أن ذلك ليس بمانع من القول: "إن التأثر بالهنود كان يحصل بالطريق المباشر (تجار وعمال ومسافرون وأطباء وصيارفة ودعاة) قبل الإسلام وبعده، كما كان يحصل أيضاً عن طريق كتب الرحلات العربية"⁽³⁵⁾.

أما المثال الثاني لهذه التأثيرات الثقافية فيظهر في علاقة الثقافة الغربية بنظيرتها الشرقية، ذلك أن الأفلاطونية المحدثة (الأفلوطينية)⁽³⁶⁾ مثلاً كانت تطويراً لمذهب صاحب الجمهورية، ولكن التربة التي

³⁴- حسين مؤنس، الحضارة، عالم المعرفة، عدد 237، 1998، ص 229

³⁵- علي زيعور، الفلسفات الهندية، دار الأندلس، ط2، دار الأندلس، بيروت.

³⁶- نسبة إلى أفلوطين (PLOTIN، 204م-270م) فيلسوف صوفي زاهد، ولد بمصر، وتعلم في الإسكندرية وتأثر بأفلاطون. وهو مؤسس مذهب الأفلاطونية الحديثة، حاول التوفيق بين الفلسفة والدين، جمع تعاليمه في التاسوعات (LESENNEADES).

ترعرعت فيها هذه الفلسفة لم تكن أرض اليونان والثقافة الغربية، بل كانت أرضاً شرفيةً (الإسكندرية) بعد أن دخلها إسكندر المقدوني وأدخل إليها الثقافة اليونانية. وعلى الرغم من أن الإسكندرية ظلت على علاقات وطيدة مع أثينا، فإنها تميّزت بطابع خاص في نشاطها الثقافي هو طابع المزج بين الثقافتين الأصلية والوافدة وأسباب ذلك تاريخية بعيدة. "فخلال العصرين الهلنسي والروماني ازداد التحام الثقافتين الشرقية واليونانية وتداخلت مكونات كل منهما مع الأخرى فأصبح الشرق هيلينياً، والعالم الهيليني شرقياً، وقد عبّر عن هذا الاتجاه الفيلسوف الرواقي "وزيدونيوس" الذي جمع بين الفلسفة والدين في نطاق الرواقية"⁽³⁷⁾.

إن جزءاً كبيراً من ثقافة الشرق ظلّ يمتح من معين الغرب (بلاد اليونان القديمة). وقد مثلت كل من الرواقية والأبيقورية ثم الأفلاطونية المعبر الحقيقي لهذا التأثير المتبادل. وإذا كان أرسطو لم يقطع الصلة بينه وبين مذهب أفلاطون تماماً فلأن فلسفته قد انبثقت تدريجياً عن الأفلاطونية، ثم ما لبثت أن تطوّرت وتجاوزتها، ومع ذلك فقد ظلت حلقات الترابط قائمة بين المذهبين، ثم عادت وأصر الصلة تحت تأثير النزعة "التوفيقية" في مدرسة الإسكندرية مع أفلوطين. فما هي إذن المبادئ الأخلاقية التي قامت عليها الفلسفة الأفلاطونية المحدثه؟

(أ) الأخلاق في الأفلاطونية المحدثه

- منزلة الخير والشر في فلسفة أفلوطين الروحية.

يوصف مذهب أفلوطين في الفلسفة بأنه مذهب ديني صوفي يقوم أساساً على رسم طريق النفس إلى العالم الأعلى. ومن هنا يصحّ أن يفترض أن الشر ليس له وجود مطلق حتى تتعطل الحياة الروحية بسبب وجوده مبدئياً للشرّ يعتبر بمثابة عقبة أمام النفس الصاعدة في تجربتها الروحية. ثم إن مهمة الأفلوطينية الأولى أن تبحث عن أصل الشرّ في العالم لأنها تصف الخير بأنه المبدأ الأول، وما كان لها أن تضع الشرّ مبدئاً مساوياً للخير كما هو الحال عند المانوية⁽³⁸⁾، وعند أتباع المذاهب الفارسية على العموم. فما علاقة دائرتي النفس والعقل بالمركز الأول (الخير) عند أفلوطين؟

³⁷- أبو ريّان، تاريخ الفكر الفلسفي، ص 352

³⁸- المانوية: حركة دينية يعود أصلها إلى القرن الثالث الميلادي، وتنسب إلى ماني بن فاتك (216م-276م). وفي الواقع هي دين بالمعنى التام للكلمة من نوع الأديان التثوية ذات الجوهر الغنوصي. وقد عدت المانوية أحياناً دين خلاص على طريقة المسيحية، أو ديناً كتابياً قائماً على الوحي، انظر:

HENRI CHARLES PUECH, MANICHEÏSME, in E. UNIVERSALIS, XI, pp 646-657.

يقول الشهرستاني: "قال الشيخ اليوناني: "النفس جوهر كريم شريف يشبه دائرة قد دارت على مركزها غير أنّها دائرة لا بعد لها، ومركزها هو العقل وكذلك العقل هو كدائرة قد استدارت على مركزها وهو الخير الأوّل المحض (...). على أنّ دائرة العقل وإن كانت شبيهة بمركزها لكنّها تتحرّك حركة الاشتياق لأنّها تشتاق إلى مركزها الأوّل وهو الخير الأوّل"⁽³⁹⁾.

لقد وصلت النفس إذن عن طريق الجدل الصاعد إلى المبدأ الأوّل، إلى الخير، إلى الواحد. ويعبر عن هذا الصدور أو الفيض - كما يسمّيه الدارسون - بالأفانيم الثلاثة التي ملخصها أنّه في "قمة الوجود الواحد". ويصدر عن هذا الواحد العقل، وعن العقل تصدر النفس الكلية.

إنّ ارتباط الخير بالوجود الواحد والأوّل في نظرية أفلوطين ذات الأصول الأفلاطونية المؤدية إلى فكرة "الخير بالذات" يقطع السبيل أمام استحكام الشرّ في العالم. ولما كان أفلوطين يعتقد مثل أفلاطون أنّ المحسوسات وهم زائل، وأنّ المادة لا وجود لها في الحقيقة بل على سبيل المجاز، فإنّ في هذا الرأي إبطالاً لوجود الشرّ بالذات في العالم. وعلى الرغم من أنّ الشرّ مطابق للمادة فإنّه في الحقيقة يعتبر لا وجوداً. وهكذا يكون تصوّر الخير روحياً وتصور الشرّ ذهنياً مجازياً. على أنّ هذا التصرّح لا ينفي أن تكون الأخلاق عملية. وهو ما تعبّر عنه الثقافة الهندية.

ب) الأخلاق في الثقافة الهندية

يرصد الدارسون فترتين هامتين في تاريخ الفلسفة الهندية: الفترة الأولى ويصطلح عليها بالمرحلة الفيديّة⁽⁴⁰⁾ (نحو 1500 ق م - 700 ق م) والفترة الثانية ويصطلح عليها بالمرحلة الملحميّة (من 800 ق م إلى 200 م). ونولي عنايتنا في هذا المبحث بالمرحلة الثانية خاصّة، "فخلال هذه الفترة تمّ تأليف رسائل عن العدالة والاستقامة الأخلاقية (نصوص الدارماشاسترا). وقد دارت هذه الرسائل في المقام الأوّل حول تنظيم حياة الفرد والمجتمع، وارتبطت بقواعد محدّدة للسلوك. أمّا (المانوشاسترا) فتوضّح كيف يمكن ضمان العدالة والنظام في المجتمع على يد الملك والمؤسّسات"⁽⁴¹⁾.

³⁹- الملل والنحل، بيروت دت، ص 400

⁴⁰- الفيديّة: نسبة إلى (VEDA) وهي كلمة سنسكريتيّة مشتقة من الأصل VED بمعنى يعرف. والمقصود أقدم الكتب الهندوسية المقدّسة، انظر:

JEAN VARENNE, VEDA, in E. UNIVERSALIS, XVIII, pp 647-65.

⁴¹- جون كولر، الفكر الشرقي القديم، عالم المعرفة، عدد 199، 1995، ص 39، وانظر لويس صليبا، أقدم كتاب في العالم: ريك فيدا وانظر أيضاً علي زيعور، الفلسفات الهندية، ص ص 104-107

وبالإضافة إلى سمات الفلسفة الأخلاقية الهندية هذه - والتي توصف بتوجهها العملي - ثمة ميل واضح في الفكر الهندي إلى افتراض وجود عدالة أخلاقية كلية ينظر من خلالها إلى العالم "على أنه مسرح أخلاقي كبير تديره العدالة. وبموجب هذا التصور يصير كل شيء خير أو شرير أو محايد مكتسباً يستحقه من يصل إليه"⁽⁴²⁾.

ويعزو الدارسون للحضارة الهندية قيام حضارة "الجويتا" التي ازدهرت فيها بين 375م و475م أساساً إلى عبادة هندية أصيلة تدور حول آلهة أسطورية تدعو إلى مبادئ أخلاقية قريبة مما كانت تدعو إليه البوذية، ذلك أن البوذية⁽⁴³⁾ "كانت في أول أمرها ثورة على الكهان الذين اتجهوا إلى السيطرة على عقول الناس. فذهب بوذا إلى الدعوة إلى الفضائل، والتخلي عن الدنيا، والوصول إلى الكمالات، ثم إلى عالم السعادة الروحية والنفسية عن طريق السلوك الحسن وتصفية القلوب"⁽⁴⁴⁾.

وتأكيداً للطابع العملي في الأخلاق البوذية، فإنها ترسم الطريق النبيل بتحديد الحقائق الأربع النبيلة للاستنارة (الرسالة الأساسية للبوذية). وهذه الحقائق هي:

1- "هذه الحياة ألم، ولا شيء فيها غير العذاب والأوجاع.

2- سبب الألم هو الجهل، والجهل يولد الرغبة، والرغبة تولد من الجهل.

3- التغلب على الجهل يؤدي إلى التغلب على الرغبة. والقضاء على الجهل يقضي على الألم.

4- هي الممر ذو الثماني شعب. وهو الذي يقود إلى إزالة الألم. ومن يقطع هذه الشعب يستأصل جذور

الشقاء الثلاثة (الشهوة والكره والجهل)، إنه يتحرر بعد اجتياز الشعب التي هي: صحة الفهم والنظر المستقيم المتخلص من المزاعم والأوهام والمتطير من الأحكام المسبقة والتميز بالتسامح والعمق (...)"⁽⁴⁵⁾.

⁴² - المرجع السابق، ص 33

⁴³ - البوذية: المذهب الذي قال به جون سيدهارت (563ق م - 483ق م) في شمال الهند في القرن السادس ق.م، واستهدف في جوهره التحرر بنور البصيرة واعتمد على التأمل للوصول إلى "النيرفانا" أي الانطفاء أو الإخماد والخلو من المعاناة)، المرجع السابق، ص 42، وانظر في تفصيل هذا المذهب:

RITAT REGNIER, *BOUDDHISME*, in *E.UNIVERSALIS*, III, pp 862-865.

⁴⁴ - ج. كولر، الفكر الشرقي القديم، ص 229

⁴⁵ - انظر في تفصيل هذه الحقائق الأربع، علي زيعور، الفلسفات الهندية، ص ص 269-272

ويقوم هذا الطريق الوسط الذي يلخص طريقة الحياة التي تميّز البوذية باعتبارها فلسفة عملية على المبادئ الثمانية التي تشكّل الحقيقة النبيلة الرابعة. وهذه المبادئ هي: سلامة الرأي، سلامة النية، سلامة القول، سلامة الفعل، سلامة العيش، سلامة الجهد، سلامة الوعي أو الانتباه العقلي، وسلامة التركيز.

وعموماً فقد استجابت فلسفات الهند لدوافع عملية وتأمليّة معاً شأن الفلسفة اليونانية التي حلّلنا بعض خصائصها ممثلة في الأخلاق العملية والأخلاق الميتافيزيقية. ففي المستوى العملي نصّت الفلسفة الهندية على الأشكال المألوفة من المعاناة (المرض، الجوع، والوحدة...). أمّا في المستوى النظري فقد عرّفنا بحبّ الاستطلاع الفطري لدى الإنسان لفهم التجربة العملية وتنظيمها قصد البحث عن سبيل التغلّب على أشكال المعاناة المختلفة. وتأتي اليوغا⁽⁴⁶⁾ (YOGA) في مقدّمة أشكال التخلّص من المعاناة، إذ تحلّل هذه الممارسة الرياضية طبيعة الذات وتوضّح كيف يمكن تحقيق الذات الخالصة أو النقيّة.

ت) الضوابط الأخلاقية في اليوغا

تبدأ اليوغا بمجموعة من القواعد أو الأوامر الأخلاقية ياما (YAMA) يقصد بها إعادة توجيه إرادة الشخص وأعماله. وبموجب ذلك يتوقّع من الشخص أن يتصرّف انطلاقاً من الإشفاق المفعم بالتعاطف حيال الآخرين (كلّ المخلوقات الحيّة) ويمثّل هذا التصرف الضابط الأخلاقي الأوّل. أمّا الضابط الأخلاقي الثاني فيتعلّق بالكلام، ذلك أنّ الكلام ينبغي أن يسهم في رفاه الآخرين. ويتعيّن تجنّب النوايا السيئة والكلمات التي تؤذيهم (الحديث الأجوف والثرثرة والكذب).

أمّا الضابط الأخلاقي الثالث فهو عدم السرقة. والضابط الرابع هو عدم التشبّث بالحظر المفروض على السرقة إلى مستوى أكثر عمقاً حتّى لا يقضي على الرغبة في امتلاك الخيرات المشروعة. أمّا خامس هذه الضوابط فموجّه ضدّ النشاط الجنسي، لأنّه بقدر ما ينطلق هذا النشاط من "الأنا" ويغذيها فإنّه يشكّل عائقاً أمام الوعي بالذات ينبغي القضاء عليه.

أمّا في مستوى الالتزامات الروحية فتقوم اليوغا على ثلاثة ضوابط:

⁴⁶- اليوغا: كلمة سنسكريتية دخلت اللغة الإنجليزية سنة 1684، وتعني حرفياً النير والاتحاد، وهي تشير إلى مدرسة على جانب كبير من الأهمية في الفلسفة الهندوسية، أثرت بقوة في الفكر الهندي وبعدها العملي أهم من النظري، ذلك أنّ التقليد الهندي الهندوسي أو البوذي على حدّ سواء يدرج تحت اسم اليوغا مفاهيم من قبيل التحكم والترويض تقنية للخلاص ترمي إلى تحرير الروح من حيز الجسد عن طريق تمارين نفسية وجسدية، انظر:

JEAN VARENNE, YOGA, in *EUNIVERSALIS*, XVIII, pp 1157-1162.

وانظر أيضاً، ج. كولر، الفكر الشرقي القديم، ص 43



الأول: يتعيّن على المرء مراعاة النقاء في الفعل والتفكير والكلمة مع نظافة الجسم وضرورة تجنّب كل أشكال التلوّث الاجتماعي والشعائري.

والثاني: ينبغي أن يرضى المرء بما لديه دون أن تقلقه الأحداث والظروف، فإنّ من شأن هذا الرضا أن يساعده على أن يستشعر إحساساً باستقلال الذات الحقّ.

أمّا الثالث فهو النزعة إلى الزهد أو التقشّف، وذلك بالقيام بالعديد من الأنشطة التي تستهدف نكران الذات وكبح جماح شهواتها⁽⁴⁷⁾. ونجد في المذهب الصوفي الأوبانيشادي أنّ "الأخلاق تدعو إلى القيام بواجبات من شأنها المحافظة على الجماعة أو على الاستمرارية. فالأخلاق مجموعة وصايا أو مثل عليا وتمثّلات مجتمعية تمجّد الخير - كما يراه المجتمع - وترفض الشرّ والسيء. وهنا تبرز نظرية الدهارما (القانون)، أي ضرورة تطبيق الواجبات. وتعلّم الأخلاق أنّ على البرهميّ مثلاً القيام بواجبات نحو الطبقة، وأرواح الأسلاف والكتب المقدسة، وحفظ الأملاك وتأسيس أسرة... وتعلّمه آداباً عامة واحترام ذويه وأقاربه وضيوفه، وتملك الانفعالات، وقول الصدق (...). وأن لا يقتل أو يسرق أو يزني أو يسكر"⁽⁴⁸⁾.

ليس بخاف بعد عرض خصائص الثقافة الهندية ومسألة الأخلاق فيها أنّ عناصر كثيرة من هذه الفلسفة على صلة بقضايا أخلاقية عربية أو إسلامية في ثقافة الشرق العربي قبل الإسلام. فما هي الخصائص الأخلاقية في الثقافة الفارسية ذات الأصول الغنوصية⁽⁴⁹⁾؟

ث) أصول الغنوصية ومبادئها ومذاهبها

لقد قامت الغنوصية بترسيمة عامّة للوجود، وضعت على قمته الله وجوداً معقولاً مفارقاً للمادة غير مدرك على الإطلاق، ومن هذا الوجود صدرت الأيونات (IONS) متتابعة في نسق زوجي، كلّ زوج مكون من ذكر وأنثى. وكلّما ابتعدت الأيونات عن الوجود الأول ازدادت كثافة وقلّت مفارقتها للمادة. "ويحدث الصراع العارم في الإنسان بين قوى الخير وقوى الشرّ، فمن كانت فيه طبيعة الغنوص عاد إلهياً ربّانياً، ومن تغلّبت فيه طبيعة المادة لم يرتفع عن عالمه الأدنى، ومن تساوت فيه الطبيعتان حدث الصراع. وقد يتغلّب الخير وقد يتغلّب الشرّ وتقوم هذه الفلسفة على سؤال يلخص محتواها ويبرز إشكالاتها مفاده: "إذا كان الله خيراً محضاً

⁴⁷- ج. كولر، المرجع السابق، ص ص 100-102

⁴⁸- علي زيعور، الفاسفات الهندية، ص 131

⁴⁹- الغنوصية: كلمة يونانية الأصل، معناها المعرفة المؤدية إلى الخلاص والقائمة على المكاشفة غير المستندة إلى الاستدلال والبرهنة، بل إلى التدنق المباشر الذي يلقي في النفس إلقاء، وهي في معناها الدقيق ليست ديناً منظماً ذا سلطة مركزية، وإنما هي موزعة بين فرق وتيارات ومدارس. ويعبر عن الغنوصية بلغات عديدة: إغريقية، قبطية، وسريانية. ولم يعرف تاريخ ظهورها ولا أقولها. انظر NATHALIE FRONEUX, *GNOSTICISME*, in *ENCYCLOPEDIE DES RELIGIONS*, I, pp 219-224 انظر أيضاً: محمد عابد الجابري، نقد العقل العربي.

فكيف صدر عنه شرٌّ محض؟ لقد حلَّ حكماء الفرس القدامى المشكلة وذلك بإيجاب أصليين للوجود (الإلهين للوجود) إله خيّر هو النور وإلاه شرّير هو الظلام⁽⁵⁰⁾.

وهكذا تلاحقت المذاهب، وأصبحت الثنائية بين الله والمادة عنواناً على الغنوصية. وفي نطاق هذا التصوّر عالجت الزرادشتية⁽⁵¹⁾ أيضاً مسألة الخير والشر وهل يصدران عن مبدأ واحد أو مبدأين. وقد أخذ زرادشت بمبدأ الثنائية في مذهبه الوجودي فردّ كلاً من الخير والشرّ إلى أصليين متضادين هما النور والظلمة. وتستمرّ القوتان في نزاع حتّى يتغلّب النور، فيخلص الخير إلى عالمه وينحطّ الشرّ إلى عالمه، وهنا يكون الخلاص.

وعلى منوال الزرادشتية نسجت "الديسانية" (أصحاب ديسان). وقد أثبتوا أصليين: نور وظلام. فالنور يفعل الخير قصداً واختياراً، والظلام يفعل الشرّ طبعاً واضطراراً. فما كان من خير ونفع وطيب وحسن فمن النور، وما كان من شرّ وضرر وتتن وقبح فمن الظلام⁽⁵²⁾.

ولم تنبُ المزدكية⁽⁵³⁾ عن التصوّر الثنوي للعالم على الرغم من أنّ "مذهبها في الأصول والأركان يقوم على عناصر ثلاثة: الماء والأرض والنار. ولكنّها لما اختلطت حدث عنها مدبّر الخير ومدبّر الشرّ. فما كان من صفوها فهو مدبّر الخير وما كان من كدرها فهو مدبّر الشرّ"⁽⁵⁴⁾.

ج) الأخلاق في الفلسفة الصينية

في الجزء الأوسط من بلاد الشرق الأقصى ظهرت ثقافة على قدر كبير من الاتصال بالثقافتين اليونانية والفارسية هي الثقافة الصينية، وذلك أنّ "آسيا لم تكن مجهولة لدى البيزنطيين والساسانيين لأنّه كانت ثمة

⁵⁰- علي سامي النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام، الإسكندرية 1965، ج 1، ص 186، وانظر أيضاً جفري بارندر، المعتقدات الدينية لدى الشعوب، عالم المعرفة عدد 173، 1993، ص 44

⁵¹- الزرادشتية: نسبة إلى زرادشت أو زورواستر (ZOROASTER 628-651 ق م)، نبيّ الفرس القدماء ومصالح ديانتهم الأولى. وتقوم الزرادشتية على أنّ الحياة تعلمنا أنّ الله هو الموجود الأعظم والأفضل والأسمى من حيث الفضيلة والاستقامة والخير. انظر: ج. بارندر، المرجع السابق، ص ص 118-116

⁵²- الشهرستاني، الملل والنحل، ص 251

⁵³- المزدكية: مذهب إيراني قديم ظهر في القرن الخامس قبل الميلاد، في أيام قباد والد أنو شروان. وينسب إلى مزدك مؤسسه ومحزّر نصّه المقدّس المسمّى الأفتنا (AVESTA). وكانت التقاليد الإغريقية ترى في مزدك المشرّع للفرس وأمير المجوس ومؤسس علم التنجيم. أمّا الأوروبيون في عصر الأنوار فقد اكتشفوا أنّ الدين الذي يصدر عنه مزال حياً، ويعتبرون مزدك باعث ديانة التوحيد خلافاً لما يعتقد من أنّه موسى. انظر:

JEAN KELLENS, *LE MASDEISME*, in *ENCYCLOPEDIE DES RELIGIONS*, I, pp105-117.

⁵⁴- الشهرستاني الملل والنحل، ص 250

اتّصالات دبلوماسية وعسكرية وتجارية بين هاتين الامبراطوريتين العظيمتين في الشرق الأدنى وبين شعوب آسيا الوسطى قبل ظهور الإسلام بمدة طويلة⁽⁵⁵⁾.

وتظهر المسائل الجوهرية للفلسفة الصينية في السؤالين الآتيين: كيف يمكنني تحقيق التناغم مع الإنسانية بأسرها، وكيف يمكن تحقيق التناغم مع الطبيعة؟

يعنى هذا السؤال من جملة ما يعني ميل هذه الفلسفة المتزايد إلى التوحيد بين الطبيعة المادية وطبيعة الإنسان، وإذن تناغم المرء مع نفسه. فإنّ كون المرء في حالة تناغم مع نفسه يمثل الأساس الضروري لتحقيق التناغم مع الآخرين. وهذا التناغم المزدوج مع النفس ومع بقية الإنسانية هو الخير الأسمى في هذه الفلسفة⁽⁵⁶⁾ وينجم عن هذا تصوّر سؤالان آخران مؤداهما: كيف يمكنني أن أكون خيراً، وما هو أساس الخير؟

والإجابة على هذين المطلبين ليست إجابة مباشرة أو آنية، وإنما تلتمس أساساً في ما يطلقه بعض الدارسين على هذه الفلسفة من أنّ "نغمتها الأساسية هي النزعة الإنسانية، فقد احتلّ الإنسان والمجتمع اهتمام الفلاسفة الصينيين عبر العصور وألفت المناقشات الأخلاقية والسياسية بظلالها على التأمّلات الميتافيزيقية"⁽⁵⁷⁾.

ولقد ظلّت الفلسفة الصينية تؤكد أهمية المحافظة على الحياة الإنسانية العظيمة ورعايتها في تصوّر سياسي وأخلاقي تشكّله في المقام الأوّل مبادئ التاوية⁽⁵⁸⁾ والكنفوشية⁽⁵⁹⁾.

لقد كانت التاوية تعبيراً عن الأزمة الأخلاقية القاسية التي تردت فيها الصين قبل قرنين من ظهور هذه الفلسفة، ولذلك اختار هذا المذهب أن يكون إصلاحياً يقدّم بديلاً للأوضاع اليائسة، فدعا "لاوتسو إلى حياة بسيطة ومتناسقة يتمّ فيها التخلّي عن دافع الربح، وتنحية الحذق جانباً، والتخلّص من الأنانية وتقليل

⁵⁵- ج. شاخت وبوزورث، تراث الإسلام، عالم المعرفة عدد 8، 1983، ج1، ص 176

⁵⁶- ج. كولر، الفكر الشرقي القديم، ص 21-23

⁵⁷- المرجع نفسه، ص 330

⁵⁸- التاوية: مذهب فلسفي أخلاقي صيني ينتسب إلى "لاوتسو" مؤسسه (604 - 517 ق م) ألف كتاب تاوتي كنج أي كتاب الطريق إلى الفضيلة، انظر في تفصيل هذا المذهب:

JOHN LAGERWE, *TOÏSME*, in *ENCYCLOPEDIE DES RELIGIONS*, II, pp1725-1730.

⁵⁹- الكنفوشية: مذهب أسسه كنفوشيوس (CONFUCIUS 551-479 ق م). وهو من أشهر المذاهب الفلسفية الأخلاقية للصين القديمة. ظلّت تعاليمه مؤثرة في الحياة الاجتماعية والسياسية والفكرية للشعب الصيني كما ظلّ الفكر الكنفوشي مطبوعاً بروح دينية دون أن يكون دينياً بالمعنى الكامل، ولم تكن غاية مؤسسه ولا تلامذته من بعده أن يجعلوا منه نظاماً طقسياً طائفياً لأنه في الأصل مستوحى من العقائد القديمة القائمة أساساً على احترام الغير والتسامح والتوازن بين الحق والواجب وحبّ الأبناء والأقارب تحقيقاً للتناغم والانسجام مع الآخرين، انظر:

CHIA-YUWANG, *CONFUCIANISME*, in *ENCYCLOPEDIE DES RELIGIONS*, I, pp 1079 -1097

الرغبات"⁶⁰. وظلّت هذه الفلسفة تؤكّد الحاجة إلى الرجوع إلى نهج الطبيعة درءاً للطمع والرغبة ودفعاً للمعاناة في حياة الناس وقتئذ. وقد نبعت التاوية من القلق إزاء الأوضاع الاجتماعية الجديدة بالإدانة. وقوام الموقف التاوي هو "أنّ حيل البشر وأفاعيلهم تفضي إلى الشرّ والتعاسة، ويتعيّن عليهم للعثور على السلام والرضا أن يتّبِعوا طريق الكون (تاو الكون)، وأن يحقّقوا التوحّد مع هذا التاو"⁶¹.

ولم يكن عصر "لاوتسو" أفضل حالاً من عصر "كونفوشيوس" على تقارب بينهما، فقد اتّسم عصر هذا الأخير بالتفكك السياسي والاجتماعي، وهو ما كان له كبير الأثر في النظام الأخلاقي، لذلك اتجهت جهود الرجل إلى إصلاح حال المجتمع باعتماد المبدأ القائل: "كيف يمكن تحقيق الخير والسعادة"؟

إنّ الناظر في جهود تعاليم كونفوشيوس يدرك أنّه يمكن للمرء أن يصبح عظيماً في السلوك الشخصي من خلال تطويره لجوانبه الإنسانية الداخليّة، فضلاً عن علاقته مع الآخرين، عندئذ سينتشر الخير وتحقّق السعادة. ولتحقيق هذه الفضائل يتعيّن على المرء اتّباع هذه المبادئ الأربعة، وهي:

1- ين (Jen) (طيبة القلب الإنسانية)، وقد ترجمت هذه الكلمة بعبارات كثيرة منها الفضيلة، الإحسان، الرجولة الحق، الطابع الأخلاقي، الحبّ والخير الإنسانيّان.

2- لي (LI) (قواعد اللياقة وأداب المجتمع التي تحكم العادات والمراسم والعلاقات التي تمّ الاعتراف بها من خلال ممارسة الناس لها عبر العصور).

3- هسياو (Hisao) (ولاء الأبناء للأباء، الاحترام الأخوي، وهو ما يعني فضيلة توقيير العائلة واحترامها).

4- يي (YI) (الاستقامة)، وينظر الرجل الأسمى إليها باعتبارها جوهر كلّ شيء، وهو يلتزم بها بحسب مبدأ آداب المجتمع.

على أنّ كونفوشيوس لم يعن بتقديم الحلول الجاهزة للإنسان والمجتمع فحسب، وإنّما كان معنياً أيضاً ببحث أسباب تردّي الصين القديمة في الأزمة السياسيّة والأخلاقيّة. فرأى أنّ مشكلات الشعب تنبع من السلطة

⁶⁰ - ج.كولر، الفكر الشرقي القديم، ص 335

⁶¹ - المرجع نفسه، ص ص 374-375

الحاكمة التي تُمارس بغير مبدأ أخلاقي ولمجرد مصلحة الحاكم ورفاهيته، ولذلك جرّدت الكونفوشية مبدأً جريئاً من مبادئ الإصلاح يقول: "أنجز للناس ما كنت حرياً بإنجازه لنفسك"⁽⁶²⁾.

وإجمالاً وجّهت الفلسفة الصينية اهتماماً إلى الأخلاق العملية المرتبطة بفحص أحوال الناس فرداً والمجتمع كتلةً، فضلاً عن اهتمامها بكلّ فلسفة أخلاقية بالقضايا الميتافيزيقية المحيرة (العالم، الكون، الطبيعة والخلق...) "فالكونفوشية مثلاً لم تبحث عن أساس الطبيعة والأخلاق خارج البشر، ذلك أنّ داخل الإنسانية ذاتها يوجد مصدر الطبيعة والسعادة الإنسانيين وبنيتهما"⁽⁶³⁾. ولقد كان ذلك كفيلاً بأن يسم الفلسفة الصينية بالنزعة الإنسانية أكثر من وسمها بالطبيعية.

تبيّننا في الفلسفات القديمة غربيها وشرقيها، وعلى اختلاف ظروف نشأتها وأمكنة رواجها وجوهاً من التباين والتقارب عديدة. ولعلّ أهم ما يؤلّف بين هذه الفلسفات أنّها أثارت موضوع الأخلاق وعنيت به عناية فائقة لا بوصفها مبحثاً ميتافيزيقياً مجرداً فحسب، بل بوصفها أيضاً مسألةً عمليةً على صلة وثيقة بواقع المجتمعات التي نبعت منها وبتصوّراتها لموضوعات السلوك القويم الذي يحقّق التوازن بين الجانبين الروحي والمادي للإنسان، ومن هذا السلوك القويم تنبثق مباحث أخلاقية أساسية تجمعها ثنائيات من قبيل الخير والشر، والنافع والضار، والجميل والقبيح، وغيرها. ولقد حدّدت هذه الفلسفات الجهة التي ينطلق منها فعل الخير أو الشر ممثلةً في الإنسان أساساً. ولذلك دعت الفلسفة اليونانية منذ أرسطو إلى ضرورة الرجوع إلى النفس والذات، إذ هي المسبار الحقيقي لتمييز الخير من الشر. واشترطت الفلسفة الشرقية على هذا الإنسان أن يعمل على تحقيق الفضيلة والخير وحبّ الآخرين أساساً في التعامل حتّى يحصل التناغم مع المجموعة. ثمّ ألفينا في هذه الفلسفات أيضاً عناصر عديدة تترجم عن الصيغ المشتركة بين المجتمعات البشرية على اختلاف الأعصر والأقطار. وقد مثّلت هذه العناصر في الفلسفات القديمة لبنات على أساسها بنيت ثقافة المجتمع العربي في القرون الخمسة الميلادية الأولى حتّى ظهور الإسلام في أرض العرب. إنّ هذا الأمر ليدعونا إلى دراسة الأخلاق العربية في المرحلة السابقة لظهور الإسلام، وتبيّن قواعد السلوك ونظام الأخلاق في ظلّ الأعراف والتقاليد التي عمل هذا المجتمع على الوفاء لها. وهذا مدار الفصل الثاني.

⁶² - المرجع نفسه، ص 338

⁶³ - المرجع نفسه، ص 333



لائحة المصادر والمراجع:

- أبو الفتح محمد عبد الكريم الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق عبد العزيز، محمد الوكيل، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت (دت).
- أرسطو، **علم الأخلاق: إلى نيقوماخوس**، ترجمة أحمد لطفي السيد، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1924
- أنجلو شيكوني، **أفلاطون والفضيلة**، ترجمة منير سغبيني، دار الجيل، ط1، بيروت، 1986
- جميل صليبا، **المعجم الفلسفي**، دار الكتاب اللبناني - دار الكتاب المصري (دت).
- جفري بارندر، **المعتقدات الدينية لدى الشعوب**، عالم المعرفة عدد 173، 1993
- ج. شاخت وبوزورث، **تراث الإسلام**، عالم المعرفة عدد 8، 1983
- جون كولر، **الفكر الشرقي القديم**، عالم المعرفة، عدد 199
- حسين مؤنس، **الحضارة**، عالم المعرفة، عدد 237، 1998
- كريم متي، **الموسوعة الفلسفية**، بيروت (دت).
- عبد الرحمان بدوي، **أرسطو**، بيروت، 1980
- عبد العزيز العيادي، **إيتيقا الموت والسعادة**، دار صامد للنشر والتوزيع، تونس، 2005
- علي زيعور، **الفلسفات الهندية**، دار الأندلس، ط2، دار الأندلس، بيروت.
- علي سامي النشار، **نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام**، الإسكندرية، 1965
- ماريا لويزي برنيري، **المدينة الفاضلة عبر التاريخ**، عالم المعرفة، عدد 225، 1997
- محمد عابد الجابري، **نقد العقل العربي**4، العقل الأخلاقي العربي، ط2، الدار البيضاء، 2001
- محمد علي أبو ريان، **تاريخ الفكر الفلسفي**، الإسكندرية، 1988



MominounWithoutBorders



@ Mominoun_sm



Mominoun

الرباط - المملكة المغربية

ص.ب : 10569

هاتف: 00212537779954

فاكس: 00212537778827

info@mominoun.com

www.mominoun.com